خليج سرت في العصر الفينيقي الروماني (السكان والنشاط الاقتصادي)

عبدالحفيظ عبدالله ابولموشة – عضو هيئة تدريس بقسم التاريخ . كلية الآداب –جامعة سرت–ليبيا

مدخل:

ليبيا كمدلول جغرافي انفرد به الشاعر اليوناني هوميروس[1]الذي عاش في القرن التاسع قبل الميلاد في قصيدته الإلياذة. ولكن ليبيا عند هيرودوت[2]هي القارة الثالثة من قارات العالم القديم المأهول، أوروبا ، آسيا ، ليبيا ونهر النيل هو الحد الفاصل ما بين آسيا وليبيا كما بالشكل رقم (1) ، فقد كانت ليبيا عند هيرودوت تعني كل قارة أفريقيا الآن كما هو موضح بالشكل رقم (2) الملحق مع هذا البحث ،

وعرفت باسم افريقيا والتي يعتقد أنها تحريف لاسم قبيلة تسكن ساحل تونس الجنوبي أسمها (أفري) بعد سنة 146 قبل الميلاد عندما دمر الرومان قرطاجة ، في الجولة الثالثة من الحروب البونية التي بدأت شرارتها الأولى سنة 264 قبل الميلاد وأصبحت تعني كل الأراضي التي وقعت تحت سيطرة الرومان وتقلص اسم ليبيا إلى الدلالة على الأراضي الواقعة تحت سيطرة الإغريق في المنطقة الشرقية. لقد مرت منطقة الشمال الإفريقي وخاصة ليبيا ومنها خليج سرت بأكثر من عصر من عصور ما قبل التاريخ ، حيث كانت الظروف المناخية و البيئة مناسبة لحياة الإنسان الأول[3]والتي لم تكن منعزلة عن محيطها بل أثرت وتأثرت بجيرانها[4].

[1]هوميروس هو شاعر يوناني كفيف البصر من جزيرة خيوس عاش حوإلى القرن التاسع قبل الميلاد (حسب رواية هيرودوت)وصلتنا عنه ملحمتان شعريتان هما (الإلياذة و الأوديسا) ويرى بعض الباحثين ان هاتين الملحمتين لم تدونا في شكلهما التاريخي إلاّ حوإلى سنة 530 قبل الميلاد في عهد بيزاستراتوس، أما قبل ذلك فكانت تتناقلها الأجيال المتعاقبة شفوياً وعن طريق المنشدين لهما في المحافل العامة والحفلات الرسمية والدينية .

[2] هيرودوت (484 – 430 ق.م.) مؤرخ يوناني من مدينة هالِكارنيسوس وهي مستعمرة دورية أسست سنة 900 ق.م. ، لقب Libykoi Logoiأبو التاريخ ، زار ليبيا وكتب كتابه الرابع عنها

[3]ابراهيم أحمد رزقانه ،الحضارات المصرية في فجر التاريخ ، القاهرة ، 1948 ، ص23 .عبدالعزيز طريح شرف ، جغرافية ليبيا ،الاسكندرية ،1963 ، ص228 .

[4]ابراهيم أحمد رزقانه' المرجع السابق ، ص19 .

أهمية الدراسة :تكمن أهمية هذه الدراسة في :

1 – تسليط الضوء على مرحلة مهمة من تاريخ بلادنا القديم .

2 – معرفة التركيبة السكانية في منطقة الدراسة .

3 –توضح دور الفينيقيين والرومان في تنمية الموارد الاقتصادية بمنطقة الدراسة.

الهدف من الدراسة :تهدف هذه الدراسة إلى :

1– معرفة الجذور التاريخية لسكان منطقة الدراسة .

2 – تعريف المهتمين بالتاريخ الليبي القديم بالأهمية الاستراتيجية لمنطقة خليج سرت ومواردها الاقتصادية التي ساهمت بدور كبير في عملية الاستيطان الفينيقي الروماني وامكانية الاستفادة من هذه الموارد حالياً.

خطة البحث :

بعون الله سنتناول موضوع هذا البحث (خليج سرت في العصر الفينيقي الروماني' السكان والنشاط الاقتصادي) في مدخل وعدد من المطالب وخاتمة على النحو التالي :

المطلب الأول : الوصف الجغرافي لخليج سرت .

المطلب الثاني :العوامل المشجعة لاستقرار الفينيقيين بخليج سرت .

المطلب الثالث :أهم المدن الذي أسسها الفينيقيون بمنطقة خليج سرت .

المطلب الرابع : الســــــــكان :

اولاً– الليبيـون .

ثانياً– الفينيقيون .

ثالثاً– الرومـان .

المطلب الخامس :النشاط الاقتصادي :

اولاً– الرعي والزراعة .

ثانياً– التجــــارة .

ثالثاً– الصيـــــد .

رابعاً – الصناعــة .

المطلب السادس :المواقع الأثرية بمنطقة خليج سرت .

الخاتمة

المطلب الأول : الوصف الجغرافي لخليج سرت .

البحر المتوسط[5]الذي يقع في مكان وسط من العالم القديم، و تلامس مياهه كل من أوروبا وآسيا وليبيا عبر مجموعة متباينة من السواحل نقلت إلى حوضه ما أسفرت عنه إسهامات هذه القارات في الحضارات الإنسانية. ووفر جملة من الظروف الجغرافية الملائمة لتطوير الملاحة في مرحلتها الأولى ومنها [6].

1 – توفر بعض الأراضي الساحلية الخصبة إلى جانب عدد من سهول الأودية التي قامت باستقطاب عدد من المهاجرين للإقامة في مثل هذه المناطق .

2 – توفر العديد من المرافئ الجيدة قرب بعض المناطق الساحلية الوفيرة المياه مما هيّأ مواني صالحة للصيد ومزاولة التجارة .

3 – كثرة الغابات الجبلية التي وفرت بدورها المادة الأولية لمزاولة مهنة ركوب البحر.

4 – صعوبة الاتصال على اليابسة وما ترتب عليه من فتح المجال أمام المبادلات التجارية البحرية.

وهكذا كان البحر المتوسط البؤرة الأولى التي عرفها العالم لميلاد وإرساء الملاحة بطريقة عملية بحيث تتوافر المادة الأولية لصناعة المراكب[7]

---

[5]تبلغ مساحة البحر المتوسط حوالى 2.5 مليون كيلو متر مربع .

[6]Elen.C.Semple.op.cit.p579.

[7]الهادي بولقمة ومحمد الأعور، ،الجغرافيا البحرية ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس 1993، ص197.

وعلى هذا البحر يقع خليج سرت بين خطي طول 15 – 20 شرقاً وخطي عرض 29 – 32 شمالاً. أي من راس بوريوم (راس تايونس)عند يوسبيريدس شرقاً إلى راس كيفالاي (راس قصر حمد) عند مدينة توباكتس غرباً.[8]

وهوعبارة عن قوس طوله 800 كم ولا تخلو سواحله من الجزر والخلجان الصالحة لإنشاء موانئ ويتوغل هذا الخليج بمقدار درجتين ونصف من درجات العرض في الأراضي الليبية. [9]

ويعتبر خليج سرت من أكبر الخلجان في الساحل الجنوبي للبحر المتوسط ، وقد نشأ نتيجة انهيار قوس سرت القديم في أواخر العصر الكريتاوي وتكون صدوع كتلية ، وقد امتد حوض خليج سرت إلى مسافة كبيرة نحو الجنوب [10].

كما كان خليج سرت حلقة وصل بين منطقة المشرق العربي وسواحل الشمال الأفريقي الغربية عبر التاريخ حيث عبرت أراضيه الهجرات والفتوحات في كلا الاتجاهين.

ونتيجة لاتساع هذا السهل وانخفاضه عن المناطق المجاورة له ،حيث تنحدر بعض الأودية الكبيرة من المنحدرات الشمالية الشرقية للحمادة الحمراء ، لينتهي بعضها في مجموعة سبخات تمتد على طول الساحل ، والبعض الآخر يخترق السهل متجها إلى البحر، وأهم هذه الأودية وادي زمزم و وادي سوف الجين و وادي بي الكبير و وادي ميمون[11].

كما توجد بعض الصعوبات التي يتحدث عنها البحارة القدماء في خليج سرت من حيث اختلاف مناسيب أرض القاع إلى جانب قوة الرياح الساحلية المقرونة عادة بدفع كميات هائلة من المياه باتجاه الساحل وعودة تدفقها نحو البحر مرة أخرى فوق قيعان متباينة المناسيب نوعا ومغطاة برمال متحركة تضيف صعوبة أخرى أمام الملاحة.إلا إذا كان وراء ذلك مردود مجزٍ مثل محاولات

---

[8] خارطة الجماهيرية ، مالطا انترناشيونال ، بيروت (د.ت)هينز ،ا.ل،أثار طرابلس الغرب ، ترجمة عديلة حسن ميال ، طرابلس مصلحة الأثار طرابلس ،(د.ت) ص120وكذلك أنظر . Harold Fullard.Atles of the world,London.the English Uni.Press,1964,p65

[9] عوض يوسف الحداد ،إقليم خليج سرت بين حتمية البئية وضرورة التنمية ، مجلة قاريونس العلمية ، ع1 ، 2، 1999 ،ص2.

[10] الجماهيرية دراسة في الجغرافيا. تحرير .الدكتور الهادي بولقمة والدكتور سعد القزيري. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة الأولى 1995. ص50

[11] فتحي أحمد الهرام ، التضاريس والجيومرفولوجية ، في كتاب الجماهيرية ، تحرير الهادي بولقمة و سعد القزيري ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، سرت 1995،ص103 .

تجار قرطاجة ومخاطرتهم بالوصول إلى ميناء خاراكس على ساحل خليج سرت مقابل مبادلة نبيذهم بالسلفيوم مع تجار قورينا وكذلك الرحلات التي مارسها بحارة صيد الإسفنج الذين كانت وجهتهم مياه سواحل خليج سرت لصيد الإسفنج الذي كان يشكل مردودًا لتوفير الصبغ الأرجواني اللازم لصناعة الأقمشة الفينيقية ذائعة الصيت .فالقائد الروماني كاتو فضل أن يجتاز أراضي سرت القاحلة عن المجازفة بركوب البحر والتعرض لتلك الأخطار التي ظلت تشكل العقبة الاساسية للملاحة أمام سواحل خليج سرت .

ويوضح لنابروكوبيوس[12]أكثر في كتابه (العمائر) عن خليج سرت فيقول:''... وتقع بعد هذه (سرت الكبرى) كما تسمى – وسأشرح شكلها ولماذا أطلق عليها هذا الاسم ، فإن نوعاً من شاطئ البحر يمتد هناك يقسمه البحر بدخوله ، ولما كان تغطى بالماء فإنه يبدو وكأنه يختفي و لايصبح فيشكل بانحناءاته خليجاً هلالياً طويلاً جداً، ويمتد وتر الهلال إلى مسافة أربعمائة فرسخ لكن محيطه يبلغ مسافة ستة أيام ، لأن البحر يكون الخليج بأن يدفع نفسه هذا الذراع من اليابسة ، وعندما يدفع الريح أو الموج سفينة فتدخل الثغرة التي وراء وثر الهلال يستحيل عليها أن تعود ، بل هي تبدو منذ تلك اللحظة وكأنها تُسحب ويظهر بجلاء أنها تُجر إلى الإمام . وأحسب أنه من هذه الحقيقة سمى الأوائل موقع (سرت)بسبب مصير السفن ، ومن جهة أخرى فإنه من المتعذر على السفن أن تشق طريقها إلى الشاطئ لأن الصخور الغاطسة تحت الماء والتي انتشرت عبر القسم الأكبر من الخليج لا تسمح بالملاحة في هذه الأنحاء، فهي تحطم السفن في المياه الضحلة هناك ولا يستطيع بحارة هذه السفن أن ينجوا بأنفسهم إلاّ في القوارب الصغيرة إن كان الحظ حليفهم، بأن يلتمسوا طريقهم إلى المنافذ وسط الأخطار ،،[13]

[12] بروكوبيوس مؤرخ بيزنطي ولد في فلسطين في نهاية القرن الخامس الميلادي ، وتوفى سنة 559م له كتاب عن الحرب)الذي يحتوي قائمة الأعمال والمنشآت التي أنجزت في عهد الإمبراطور جستنيان ، يغلب على Buildingsوكتاب العمائر (كتاباته طابع تمجيد أعمال الإمبراطور .

[13] Procop.Build.,4.5.L.C.L

وبذلك كان جميع البحارة تملاهم الرهبة والرعب حين يعبرون هذا الخليج ، حيث يذكر استرابو أن جميع الملاحين كانوا يتحاشون دخول خليج سرت خوفا من الأسر أو الهلاك .[14]

المطلب الثاني :العوامل المشجعة لاستقرار الفينيقيين بخليج سرت .

هناك العديد من العوامل التي شجعت الفينيقيين على الاستقرار في شمال إفريقيا وشكلت دافعاً أسهم بفاعلية في التوسع الفينيقي في الشمال الإفريقي وغرب المتوسط وكانت وراء تأسيس المدن الفينيقية على سواحل إفريقيا الشمالية ومن أهم هذه العوامل :

1 . قلة الأراضي الصالحة للزراعة في فينيقيا ، جعلت السكان المحليين يمتهنون التجارة [15]، التي فتحت أمام الفينيقيين آفاقاً واسعة ، وجعلتهم يبحثون عن أماكن يستطيعون من خلالها تطوير وتحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية .

2 . وفرة الثروة المعدنية وخاصة الفضة في شبه جزيرة أيبيريا (اسبانيا) وغرب إفريقيا شجع الفينيقيين على إقامة محطات تجارية تحولت بمرور الزمن إلى مدن استقروا بها .

3 . خلو غرب المتوسط من الحروب و الصراعات التي كانت تسود منطقة شرق المتوسط في تلك الحقبة التاريخية وخلو شواطئ غرب المتوسط من هذه الصراعات .

4 . الفراغ السياسي في شمال إفريقيا ، وانعدام وجود حكومات محلية.

5 . شتات المدن الفينيقية، وعدم وحدتها ، و قدرتها على مواجهة الدول القوية المجاورة لها مثل مصر في الجنوب ، والحيثيين في الشمال وازداد هذا الخطر عندما هدد الآشوريون كيان وممتلكات المدن الفينيقية [16]، في حملات قاموا بها بعد عبورهم نهر الفرات لغزو سواحل فينيقية وجبال الأرز تعود إلى الفترة الممتدة من (1120 – 1074 ق.م) ومن أخطر هذه الحملات غزوات (آشور ناصر بعل 888 –859 ق.م) حيث وجد في حولياته ما يشير إلى ما كانت تعانيه المدن الفينيقية من ظلم وقهر ، وقد ثبت أن الأشوريين كانوا يريدون القضاء على كيانها السياسي والاستفادة من

---

[14] الهادي بولقمة ، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة عام 1817، ص24.

[15] أحمد الهادي – الحياة السياسية للفينيقيين في شمال إفريقيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة قاريونس 1997،ص 10 .

[16] محمد حسين فنطر – الحرف والصورة في عالم قرطاج ، إلىف ، تونس ، 1990، ص19 .

مقدراتها الاقتصادية [17] وهذه المصاعب والأخطار التي كانت تعاني منها مدن فينيقية ، جعلت الفينيقيين يتوجهون إلى البحر ' للبحث عن وطن جديد يمكنهم أن يحققوا فيه أحلامهم و يأمنون فيه على أنفسهم وممتلكاتهم [18].

6 . الصراع على السلطة في المدن الفينيقية، فقد تحدث جوستن عن الصراع الذي دار في مدينة صور في أعقاب وفاة ملكها (متن) بين (بجماليون)و أخته (عليسة)على وراثة العرش ، وقد انتهى هذا الصراع بهروب عليسة مع مرافقيها إلى قبرص ثم إلى شمال إفريقيا و تأسيس مدينة قرطاج الشهيرة في سنة 814 قبل الميلاد .

7 . تزايد عدد السكان حيث سعى الفينيقيون إلى إيجاد مناطق أخرى يمكنها أن تستوعب أعداداً غير محددة من السكان الذين كانوا يعانون الفقر والبطالة ، وهذا ما أكده المؤرخ سالوست الذي ذكر أن الفينيقيين في سبيل تخليص أنفسهم من عدد السكان الزائد في الوطن قاموا بإنشاء عدد من المدن منها (هيبو. هادرميتوم – لبدة)

8 . إلى جانب كل الأسباب سالفة الذكر كان الولع بالسفر وحب المغامرة من بين الأسباب التي شجعت الفينيقيين على اكتشاف العديد من المناطق الغنية بثرواتها الطبيعية ، والتي تحولت بمرور الزمن إلى أماكن استقروا بها .

المطلب الثالث :أهم المدن الذي أسسها الفينيقيون بمنطقة خليج سرت .

بدأ اتصال الفينيقيين [19] الذين كانوا على درجة عالية من التقدم والرقي بسواحل ليبيا منذ القرن الثامن قبل الميلاد ، بعد أن سيطروا على البحر المتوسط واحتكروا تجارته ، حيث كانوا عند عبورهم هذا البحر بين شواطئ الشام و إسبانيا التي يجلبون منها الفضة والقصدير يبحرون بمحاذاة الساحل الغربي من ليبيا وذلك لأنهم اعتادوا عدم الابتعاد كثيرا عن الشاطئ خوفا من اضطراب البحر، وقد

---

[17] محمد حسن فنطر – مرجع سابق ، ص19 .

[18] محمد السيد غلاب ، مرجع سابق ، ص471 .

[19] الفينيقيون – الكنعانيون ، ساميون عرب قدموا من شبه الجزيرة العربية ، وسكنوا فلسطين وأقاموا بها حضارة راقية ، وأن جزءاً منهم انتقلوا إلى الساحل السوري حيث عرفوا هناك باسم الفينيقيين ، المشتق من لفظة فينيكس الإغريقية التي تعني اللون الأحمر، وهي تسمية أطلقها الإغريق على الكنعانيين الذين استقروا بالساحل الشرقي للبحر المتوسط ، وذلك لتميزهم في صناعة نوع من الصبغة الأرجوانية المستخرجة من حيوانات بحرية رخوة تكثر بالقرب من شواطئهم لمزيد من المعلومات أنظر: محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1990،ص161

أسس الفينيقيون مراكز ومحطات تجارية كثيرة على طول الطريق من موانئهم في شرق البحر المتوسط إلى إسبانيا غرباً. منها أوتيكا وقادش

ومنذ أن وطأت أقدام الفينيقيين القادمين من الشرق منطقة الشمال الافريقي بدأت مرحلة تتسم بمحاولات جادة لإيجاد نوع من التفاهم والتبادل الاقتصادي بينهم وبين القبائل الليبية التي كانت مستقرة في تجمعات قبلية معتمدة في اقتصادها على حرفتي الرعي والزراعة.كما يرى البعض بأن العصر التاريخي لمنطقة شمال أفريقيا بدأ بقدوم الفينيقيين إلى المنطقة [20].

الا أن هناك اختلافاً وقع بين المؤرخين في تحديد الزمن الذي استقر فيه الفينيقيون في الشمال الإفريقي . فمنهم من يعتبر نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد البداية الفعلية لمعرفة الفينيقيين بشمال إفريقيا [21]، بينما يعتقد بعض المؤرخين أن مرحلة قدوم الفينيقيين إلى شمال إفريقيا بدأت في نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد واستمرت فترة زمنية طويلة[22]، الا أن هناك مجموعة من الباحثين ترى أن مجيء الفينيقيين إلى الشمال الإفريقي في نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد مبالغ فيها، مستندين في ذلك إلى الاكتشافات الأثرية التي أجريت في المواقع التي يعتقد أن الفينيقيين قد استقروا بها [23].

لقد تطلبت كثرة المعاملات التجارية إنشاء مراكز تجارية على شواطئ غرب المتوسط وكذلك موانئ ترسو عندها السفن (شكل 3)، قدرها الجغرافي اليوناني استرابو[24]بحوالي ثلاثمائة مركز تجاري ومرفأ وهو ما يدل على ترحيب السكان المحليين بهم ، وقلة المصاعب التي واجهتهم ، وقدرة الفينيقيين على التكيف مع الأماكن الجديدة .ولقد اختار الفينيقيون بدقة المواقع الملائمة لهذا الغرض[25]. ومن أهم المدن التي تأسست على خليج سرت هي:

1 – يوسبيريدس – يوهسبيريدس – Euesperides– Euhespreides

---

[20] عبدالعزيز عبدالفتاح عمر الحجازي- رسالة دكتوراه غير منشورة (البحرية القرطاجية) معهد البحوث والدراسات الأفريقية .جامعة القاهرة ، قسم التاريخ 1982،ص20 .

[21] – زهرة الشريف - تأسيس قرطاج وموجات استيطان الفينيقيين بتونس ،الحياة الثقافية ،العدد38 .تونس 1985، ص32 .

[22] عبدالعزيز عبدالفتاح عمر حجازي – المرجع السابق ، ص 20 .

[23] أحمد المكناس – مدينة ليكسوس ، دار كريماس للطباعة ،تطوان ،1961 ، ص 12 .

[24] Strabo,xvii.3-3.c826

[25] عبدالعزيز عبدالفتاح عمر الحجازي- مرجع سابق ص20

يؤكد جودتشايلدأن مستوطنين إغريق منقورينا أو برقة قاموا قبل سنة 515ق.م بتأسيس مستوطنة يوسبيريدس الأول على الطرف الشمhgd من سبخة السلماني الحالية حيث توجد الآن مقبرة سيدي عبيد .

وبالنسبة لاسم هذه المستوطنة فقد أكد جودتشايلدبأن يوسبيريدس Euesperide هو أصح وأقدم اسم لها [26]. بينما يرى بعض المؤرخين القدماء إن تسمية يوهسبيريدس نسبة للأخوات الأسطوريات الأربع ، بنات يوهسبيريدس اللواتي كن يحرسن البستان المسمى باسمهن والذي كانت الإلهة هيرا قد تلقته كهدية بمناسبة زواجها من الإله زيوس ،وتقول الاسطورة إن هذا البستان مليء بشجر التفاح الذي يثمر الذهب .

وأقدم إشارة إلى يوسبيريدس هي التي ذكرها هيرودوت في حديثه عن الحملة الفارسية على مدينة برقة سنة 515 قبل الميلاد

2 – كورينكلانو – كورينكلانوم– Corniclanu – Corniclanum

وهي أجدابيا الآن .. وردت عند جودتشايلد على صيغة كورنيكلانوم ، تبعد عن البحر ثلاثة كيلو متر، كانت بها حامية ، وعثر فيها على أبار رومانية وبعض النقوش .

3 – اوتومالاكس – Automalax

يرى بعض الباحثين أن أنايوكيس هي نفسها اوتومالاكس (العقيلة) تقع على بعد 50 كم شرق أراي فيلاينوروم ، وصفها سترابو بأنها قلعة بها حامية تقع عند سهل خليج سرت ، وكذلك ذكر بطليموس بوجود قلعة فيها.

4 – اوجيلا–أوجيلاي–Augilae

وهي أوجله حالياً ،تحدث عنها المؤرخ هيرودوت بأنها تشتهر بكثرة النخيل الذي ينتج أجود أنواع التمور وقدوم قبيلة النسامونيس من سهول خليج سرت إلى أوجله لجني التمر. إلى جانب وقوعها

---

[26]Goodchild, R.G., Benghazi, The Story of a City, Department of Antiquities, Cyrene (Shahat), Cyrenaica, Libya, 2nd edition, LaminHasni s Press, 1962.

على الطريق التجارية التي كانت تخترق وسط البلاد من الشرق والغرب، كما يتفرع منها طريق إلى واحة الكفرة وفزانيا .

5 – خاراكس – سكينا –– Charax – Iscin

لقد أطلق عليها الفينيقيون خاراكسوتعتبر من المرافئ المهمة على الساحل الليبي ولعبت دوراً بارزاً في العلاقات الاقتصادية بين المرافئ الليبية في الغرب و إقليم المدن الخمس (قورينائية) في الشرق ، إذ كانت مركزاً للتجارة السرية لنبات السلفيومالقوريني مقابل النبيذ القرطاجي [27] ، وقد أشار سترابو إلى تجارة التهريب هذه ووصف المركز بالمهم .وذُكر تخاراكس في المصادر الرومانية باسم سكينا أحدى أهم المراكز الرومانية على خليج سرت ، وحدد الجغرافي (ولر) موقع خاراكس بـ50 كم شرقي يوفرانتا .كما ورد اسم الإقليم عند هاموند باسم سورتس[28]

6–يوفرانتا – ماكوماديس – Euphranta – Macomades

وهي كلمة فينيقية بمعنى القرية الجديدة وهي من المواقع المهمة على خليج سرت حيث أسس الفينيقيون بها مرفأ تجاريا مهما ، وسميت يوفرانتا في العصر الروماني ماكوماديس . كما أشار سترابو إلى موقع يسمى ماكوماديس ولقد حازت على مكانة مرموقة نظراً للفاعلية الاقتصادية لمرفئها التجاري، وموقعها عند قصر الزعفران في مدينة سرت حالياً .

7 – آسبيس – Aspis

بويرات لحسون على الأطراف الشرقية لبحيرة زوخيس، ومن خلال موقعها يبدو أنها كانت إحدى المرافئ الليبية التي أسهمت في النشاط التجاري للمنطقة منذ العصر الفينيقي وكذلك العصر الروماني .

8 – آدفيكوم Ad Ficum

تقع جنوب شرق كوسول (ابونجيم) بين لبتس ماجنا وماكوماديس.

9 – أنيسل – أونوسول – Annesel – Onusol

---

[27] شقلوفمسعود رمضان ،سرت تاريخها وأثارها، بنغازي مصلحة الأثار، الطبعة ،1985،ص4 .

[28] Hammond,N.G.L.(et) the oxford Classical Dictionary .nd.ed .clarendon press. Oxford.1969.p.65

يرى بعض الباحثين أنها منطقة القداحية بالقرب من وادي بي على بعد 90كيلو متر إلى الغرب من ماكوماديس بينما يرى كيراثاCerata أنها الهيشة .

10 – ثوباكتس – توباكتس–Thupactis – Tupactis

مصراته حالياً ، تقع على بعد قليل من البحروهي أحدى المرافئ الفينيقية التي لعبت دوراً مهماً في النشاط التجاري وتبادل السلع خدمة المنطقة الواقعة خلفها ، كما شهد هذا الميناء تطوراً خلال العصر الروماني بعد سقوط قرطاجة سنة 146 قبل الميلاد ، حيث لعبت دوراً في النشاط التجاري المتبادل مع بعض الموانئ الأخرى على سواحل المتوسط لسلع شمال وأواسط أفريقيا وجلبها إلى تلك الموانئ .

11 – كيفالاي – Cephalae

قصر حمد حالياً، وهي آخر المرافئ الفينيقية على خليج سرت من الناحية الغربية ، ووصفها سترابو بالأهمية. ويبدوا أن الفينيقيين قد اختاروا بعناية مواقع تأسيس مدنهم الرئيسية على خليج سرت حيث نلاحظ أن أغلبها أما على الساحل مباشرة أو على مقربة منه .إلى جانب خصوبة الأرض وتوفر المياه في الموقع الذي وقع عليه الاختيار.

12–جولايا–Gholaia

وهي أبو نجيم تقع في جنوب منطقة خليج سرت ، وتشكل النقطة الرئيسية على الطريق بين واحات الجفرة والساحل الليبي ، بها حصن روماني تم بناؤه في سنة 201 ميلادي لحماية طرق القوافل مع الجنوب حيث تنتشر القبائل الصحراوية.

13–جيراسا– جرزا –Geraza – Ghirsa

وهي قرزة تقع على ملتقى وادي زمزم برافده وادي قرزة في الجهة الغربية من ماكوماديس كانت في العصر الفينيقي محطة هامة لتجارة القوافل مع أواسط أفريقيا ٬ وأهم معالمها الأثرية الباقية ترجع إلى العصر الروماني .

المطلب الرابع : السكان :

يقول هيرودوت يعيش في ليبيا أربعة أمم .اثنتان أصليتان وهما الليبيون في الشمال والأثيوب في الجنوب ، أما الفينيقيون والإغريق فأنهم استقروا فيها فيما بعد [29].

اولاً – الليبيون .

تشير الأدلة الأثرية و التاريخية إلى الأصل العربي لسكان الشمالالأفريقي، وذلك نتيجة خروج مجموعات بشرية في موجات متتالية في وقت مبكر منذ الاف السنين قبل بداية العصر التاريخي من منطقة الجزيرة العربية إلى المناطق الخصبة المجاورة بحثا عن حياة افضل نتيجة الزيادة السكانية والجفاف وشح الموارد الاقتصادية ، ومن بين هذه الهجرات تلك التي اتجهت نحو الغرب سالكة طريقين أحدهما باب المندب والسودان ومصر وشمال أفريقيا ، والأخر عن طريق شبه جزيرة سيناء وجنوب مصر العليا وشمال السودان إلى أن استقرت في الصحراء الكبرى الأفريقية التي كانت أمطارها غزيرة وتربتها خصبة حين وصول هذه الهجرات إليها حوالي الألف السادسة ق.م ، وكما هو معروف فإن هؤلاء الوافدين جلبوا معهم ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومارسوا مهنة الزراعة واستئناس الحيوان . ومنذ الألف الرابعة ق.م، حدث تغير في المناخ و أخذت منطقة الصحراء الكبرى في التحول والجفاف وهذا ما ترتب عليه الرحيل من هذه المنطقة إلى الشمال ، حيث يتوفر الماء و الكلأ والظروف الملائمة للعيش ومن ثم الانتشار في هذه المنطقة الممتدة من البحر الأحمر و حتى المحيط الأطلسي .

ويرى بعض الباحثين أن هذه المجموعات التي استقرت في الشمال الأفريقي خلال العصر الحجري الحديث ولم تكن الوحيدة التي جاءت إلى هذه المنطقة و إن هناك هجرات أخرى من الشام والجزيرة العربية وصلت إليها منذ العصر الحجري الحديث وحتى نهاية العصور القديمة ، وهو ما نجم عنه اختلاف اللهجات ، وذلك على الرغم من وحدة الأصل التي أكدها هيرودوت[30]وأشار كذلك

---

[29] Herodot.IV.197.50 ترجمة علي فهمي خشيم ، نصوص ليبية،1967،ص 50.

[30] محمد مختار العرباوي ، البربر عرب قدامي ، المركز القومي للثقافة العربية ، الرباط، 1993،ص 33-143.

كذلك مصطفى كمال عبد العظيم ، دراسات في التاريخ الليبي القديم ، الطبعة الأهلية ، بنغازي ، 1966، ص 6 وما بعدها.

- O.Betes,.The Eastern Libyans,Londen,1924, p39-72;

محمد علي عيسى ،"الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم ،من خلال المكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية "، الجديد للعلوم الإنسانية ، العدد 3 ، 2000،ص 38.

إلى وجود ليبيين لهم مثل هذه الصفات في كل من برقة وسرت وطرابلس وهو ما دفع بعض الباحثين إلى القول بأن التمحو هم أجداد الليبيين .

كم يعتقد بعض الباحثين أن الليبيين القدماء ينحدرون من امتزاج ثلاثة عناصر سكانية وفدت من الشرق واستقرت في الشمال الأفريقي وهم أصحاب الحضارة العتيرية والحضارة القفصية و سلالة العصر الحجري الحديث ، وهذه الحضارات هي كغيرها من حضارات ما قبل التاريخ التي قامت في الشمال الأفريقي الضبعانية والوهرانية التي أظهرت الاكتشافات الأثرية على أن لها أصولا شرقية جاءت من جنوب غرب آسيا [31]. ومنذ الألف الخامسة ق.م بدأت جماعة العصر الحجري الحديث و أغلبهم من الصحراء الكبرى في المجيء إلى شمال أفريقيا واستمر ذلك حتى بداية العصور التاريخية القديمة ، حيث ظهرت المجموعات الليبية مثل التمحو و التحنو والليبيووالمشواش في النصوص المصرية القديمة .

ويمكن أن نستخلص مما سبق أن سكان شمال أفريقيا ينحدرون من أصول شرقية خاصة من مناطق الشام والجزيرة العربية و أن لهم صفات جنس البحر المتوسط وليس بمتزنجين . كما قسم هيرودوت سكان شمال أفريقيا إلى مجموعتين من القبائل إحداهما تعيش في شرق بحيرة (تريتونيس) وهم بدو رحل يمارسون مهنة الرعي والأخرى في غربها تشتغل بالزراعة واستئناس الحيوان، ومن بين الجماعات القبلية التي تردد ذكرها في المصادر القديمة أمكن التعرف على مجموعة منها وهي : النسامونيس ، المكاي ، الجرمنت ، واللوتوفاجي، البسولوي[32] .

والقبائل التي كانت تسكن منطقة خليج سرت قبل قدوم الفينيقيين هي:

1 – النسامونيسNasamones:

---

[31] McBurney,C.B.M, Libyan Role in Prehistory ,L I H,1968,PP 4-5,28.

[32] حول هذه المجموعات ومواقعها راجع:

عبد الحفيظ فضيل الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ؛وكذلك انظر

O.Bates., The Eastern Libyans , London,1914 و

يقيم النسامونيس إلى الغرب من مضارب قبيلة الأوسخيساي، على شواطئ خليج سرت وهم كثيرو العدد ، وكانوا في فصل الصيف يتركون قطعانهم بجوار البحر ويذهبون إلى واحة في الداخل يقال لها أوجلة ليجنوا البلح من النخيل الذي ينمو هناك بكثرة ، وجميع النخيل مثقل بثمره، كما كانوا يقتنصون الجراد ثم يجففونه في الشمس ، وبعد طحنه ينثرونه على اللبن ويشربونه، وكان من عادة الرجل منهم اتخاد عدد من الزوجات ، وكان الاتصال بالنساء مشاعا، وكانوا يغرسون عصا أمام أماكن إقامتهم ومن ثم يباشرون النساء، وكان الرجل من النسامونيس عندما يتزوج للمرة الاولى ، فإنه يجب على عروسه وبحكم العرفأن تضاجع كل فرد من أفراد الجماعة، كلا بدوره. وكان كل رجل بعد مباشرتها يقدم لها الهدية التي أحضرها معه من بيته.

أما فيما يتعلق بالقسم واستطلاع الغيب عند النسامونيس ، فأنهم كانوا يضعون أيديهم على قبور أولئك الذين عرف عنهم أنهم كانوا أكثر الناس عدلا وطيبة خلق ، وبهؤلاء كانوا يقسمون. أما عن عاداتهم عند استطلاع الغيب فإنهم كانوا يذهبون إلى مقابر أسلافهم ، وبعد أداء الصلوات يرقدون ، وأي منام يتراءى لهم في نومهم يحملونه على محمل الوحي.

وكانوا يعطون المواثيق ويأخذونها بأن يشرب الواحد منهم من يد الآخر ، وإذا لم يجدوا سائلا فإنهم كانوا يستعيضون عنه بتراب الأرض ولعقه. وكلمة النسامونيس يقصد بها سكان الصحراء، وبذلك هذه التسمية تعني القبائل الصحراوية.

فقبيلة النسامونيس مثلا قامت بحصار مدينة يوهسبريدس (بنغازي) حوإلى سنة 413 ق.م. الا أن القدر جاء بالقائد الاسبرطيGylippus الذي كان في طريقه إلى سيراكوزاSerakozaإلى موانئيوهسبريدس (بنغازي) وفك عنها الحصار.[33]

وأهم مصدر في معلوماتنا عن هذه القبيلة وقبيلة المكاي هو نقش عثر عليه في مدينة قورينا ، ومؤرخ بالقرن الثالث قبل الميلاد ، سجل عليه أن خمسة من قادة تلك المدينة أهدوا أبوللو عشر الغنائم التي استولوا عليها في أعقاب انتصارهم على قبيلتي النسامونيسوالمكاي ، كما أنهم شيدوا

[33]R.Goodchild.op.cit.p2

نصبا تذكاريا تخليدا لذلك . كما نقل لنا هيرودوت قصة رواها له أهل قورينا ، أن النسامونيساختاروا بالقرعة خمسة من شبابهم لمعاينة صحراء ليبيا ليروا إذا كان في مقدورهم أن يروا شيئاً أكثر مما رآه من سبقوهم من الرحالة . وليبيا فيما وراء الشعوب التي تصل بلادها إلى البحر مليئة بالوحوش . صحراء لا شيء فيها غير الرمال ويتزايد جفافها . وهذه قصة هؤلاء الشبان عندما تركوا رفاقهم وقد تزودوا بالماء والمؤن ،رحلوا أولاً في الأرض المأهولة وراء المنطقة التي ترتادها الوحوش ، ثم ارتحلوا في الصحراء باتجاه الغرب ، واجتازوا منطقة صحراوية واسعة ، وبعد أيام كثيرة رأوا نخيلاً ينمو في السهل ، وعندما وصلوا إليه وأخذوا في التقاط ثماره ، جاءهم رجال من الأقزام وساقوهم أسرى . ولم يفهم الفتية من النسامونيس لغتهم ، وما فهم الأقزام لغة النسامونيس ، وقد ساق الأقزام الفتية عبر مستنقعات واسعة حتى بلغوا مدينة أهلها في مثل قامة آسريهم وكانوا سود البشرة ، وهناك بجوار المدينة نهر كبير يجري من الغرب في أتجاه مطلع الشمس ، وترى فيه التماسيح .

وقد رجع الفتية سالمين كما أخبر بذلك أهل قورينا وأضافوا أن القوم الذين رأوهم في هذا المكان البعيد كانوا من السحرة ، وقد ظنوا أن النهر هو نهر النيل ، وأكد هيرودوت هذا الظن ، ولكن من الواضح أنه نهر النيجر [34].

2– البسولويPsylloi :

على حدود مضارب قبيلة النسامونيس موطن البسولوي الذين فنوا على النحو التالي : حدث أن رياح الجنوب جففت صهاريجهم التي يحتفظون فيها بالماء ،وكانت كل مواطنهم الواقعة في منطقة سرت عديمة المياه ، وبعد أن تشاوروا فيما بينهم زحفوا جنوباً،(وإني لأقص القصة كما رواها الليبيون)،وعندما وصلوا إلى الصحراء الرملية ، هبت عليهم ريح عاتية من الجنوب ، ردمتهم جميعا وبذلك هلكوا عن آخرهم واستحوذ النسامونيس على أراضيهم.[35]

---

[34]Herodot , II, 32.ترجمة علي فهمي خشيم. مرجع سابق ،ص14.

[35]Herodot , IV,175.ترجمة على فهمي ،المرجع السابق، ص36.

ويذكر بليني الأكبر عن هذه القبيلة أن سم الأفعى لا يؤثر على أجسادهم لكسبهم مناعة من ذلك بسبب تعرض مواليدهم لعضها ولاعتقادهم بأنه من يموت بذلك فهو غير شرعي بينما يعتبر أورك بيتس الأفعى بمثابة معبود لهذه القبيلة.

3 – المكايMacai:

أما المنطقة المجاورة لإقليم النسامونيس في اتجاه الغرب ، فقد كان موطن المكاي من مذبح الأخوين فيلاني حتى نهر كينوبسوتنتشر هذه القبيلة في المنطقة الواقعة جنوب خليج سرت من منطقة جولايا (أبونجيم) ووادي بي الكبير ووادي زمزم ووادي سوف الجين[36]وبذلك تكون هذه القبيلة تنتشر في رقعة جغرافية شاسعة على الساحل ومنطقة ما دون الصحراء .

كان المكاي يحلقون رؤوسهم ، بأن يتركوا شوشة من الشعر لتنمو في أعلى الرأس ، ويزيلون الشعر من على الجانبين، ويحملون في الحرب جعب المياه المصنوعة من جلد النعام ،ويجري نهر كينوبس إلى بحرهم ، قدماً عبر أراضيهم من تل يقال له تل الحسان .[37]

وقد تمكنت هذه القبيلة بمساعدة قرطاجة من القضاء على المستعمرة التي أسسها داريوسأبن أخ ملك أسبرطة عند مصب نهر كينوبس (كعام) في سنة 517 قبل الميلاد[38].

ولقد حدد بطليموس موقعين للمكاي ، الأول على الساحل حيث يعرفون هناك بالسرتيين والثاني في الداخل قرب جبل جيري عند منبع نهر كينوبس .[39]

ثانياً– الفينيقيون .

لم تتغير الخريطة السكانية لخليج سرت في هذا العصر إلاّ بإضافة الفينيقيين الذين عرفوا أهمية خليج سرت وعملوا على بناء علاقات تجارية مع القبائل الليبية وذلك بعد أن تمكنوا بمساعدة قبيلة المكاي من إفشال مشروع داريوس الاستيطاني غربي الخليج والذي كان يهدف إلى سيطرة الإغريق

---

[36] Rebuffat,R.,1982 Rechesdans le desert de Libya CRA I,P.188-99

[37] Herodot , IV,175، علي فهمي خشيم مرجع سابق،ص36

[38] رجب عبدالحميد الأثرم. تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، الطبعة الثانية، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان،ص126.

[39] Geog. P.IV.3.6;IV.6.3;IV.6.6

على خليج سرت وذلك في سنة 514 قبل الميلاد عندما دمر الفينيقيون هذه المستعمرة على نهر كينوبس (كعام) بعد ثلاث سنوات من تأسيسها في سنة 517 قبل الميلاد. هذاالعمل المشترك الذي قام به الفينيقيون و المكاي بطرد الإغريق من خليج سرت يبرهن لنا على الجذور العربية لسكان شمال إفريقيا ،على عكس العلاقات التي كانت سائدة بين المستوطنين الإغريق والقبائل الليبية في منطقة قورينائية والتي كان يغلب عليها الطابع العدائي . وبعد طرد الإغريق من خليج سرت في سنة 514 قبل الميلاد، سعت قرطاجة وريثة الفينيقيين في الشمال الإفريقي إلى بسط سلطتها على خليج سرت ، حيث قاموا بتأسيس بعض المحطات التجارية وتشييد المرافئ لرسو سفنهم للتزود بالمؤن والماء والراحة في حالة العواصف البحرية التي تمنعهم من المخاطرة بالإبحار .

إلا أن الأطماع الإغريقية في خليج سرت لم تنتهِ بالقضاء على مشروع داريوس الاستيطاني في نهر كينوبس ،بل تجددت في عصر البطالمة عندما قام أوفيلاس[40] حاكم قورينا سنة 309 قبل الميلادالمدعوم من بطالمة مصربالتنسيق مع ملك سيراكوزاأقاثوكليس Agathocles الذي كان في حالة حرب مع قرطاجة ، فقرر الطرفاناجتياح خليج سرت وعزله عن قرطاجة ، في حملة عرفت في التاريخ بالمستوطنة المتحركة أو الهجرة الجماعية، حيث زحف أوفيلاس للاستيطان بخليج سرت ومعه النساء والأطفال والشيوخ وكل ما يملكون، إلا أن الفينيقيين تمكنوا من هزيمة أوفيلاس عند وصوله إلى خليج سرت ، وتمكن عدد قليل جداً من العودة سالمين من هذه الحملة ، أما هو نفسه فقد لقي مصرعه على يد حليفه في تونس إثر خلاف نشب بينهما وتعتبر هذه الحملة هي الأخيرة في حلقة الصراع الفينيقي الإغريقي ، حيث اتفق الطرفان بعدها على ترسيم الحدود بين الدولتين ،

[40] أوفيلاس – ضم إقليم قورينا إلى مملكة البطالمة في مصر وعينه بطلميوس الأول عندما جاء إلى قورينا في أواخر عام 322 قبل الميلاد حاكماً على قورينا ،ولم تأت سنة 313ق.م حتى قامت قورينا بثورة على حاكمها أوفيلاس أرسل لها بطليموس حملة تأديبية تمكنت من القضاء على الثورة وأسندت مقإلىد الأمور ثانية إلى أوفيلاس .وفي سنة 311 قبل الميلاد أعلن استقلاله بالإقليم ،مقلداً بذلك بقية قادة الاسكندر باعتباره واحداً منهم ومساوياً لبطليموس حاول ضم خليج سرت لقورينا بتحالفه مع طاغية سيركوزا أقاثوكليس إلا أن هذا التحالف الذي كان مبنياً على أطماع شخصية لم يستمر، فقد أتهم أقاثوكليس حليفه بخيانة التحالف وتمكن من قتله سنة 308 ق.م. وقد يكون لبطلميوس يد في ذلك .

واختاروا لهذه المهمة رياضيين من قورينا ورياضيين من قرطاجة، وهم أبرز عداءين ، واتفقوا على أن تكون نقطة الالتقاء هي الحد الفاصل بين الدولتين.[41]

ثالثاً– الرومان .

نستمد معلوماتنا عن سكان ليبيا عامة وخليج سرت موضوع هذه الدراسة خاصة في العصر الروماني ،من سترابون وديودورس الصقلي وبليني الكبير و بطليموس الجغرافي ،فإلى جانب قبيلة النسامونيسوالبسولويوالمكاي ، يضيف كل من أسترابون وديودورس الصقلي الليبيين الفينيقيين ، وتتحدث المصادر الرومانية عن اهتمام الليبيين بالزراعة والري وتربية الخيول ، التي برعوا في ركوبها وأعطاها رؤساء القبائل الليبية عناية خاصة، و استمر الليبيون في العصر الروماني في أكل الجراد ،كما أعتاد سكان المناطق الساحلية من خليج سرت أكل الأسماك التي تتخلف على الشاطئ أثناء حركة الجزر ، وربما كانوا يأكلون المحار.

الا أن العلاقات السلمية التي كانت سائدة في العصر الفينيقي ، لم نَرها في العصر الروماني، فالقبائل الليبية تقوم من حين لأخر بهجمات على التجمعات العسكرية الرومانية ،حيث نرى قبيلة النسامونيس على سواحل خليج سرت يقومون بالتعرض للسفن وإغراقها، ولعل الحملة التي وجهت ضدهم في عهد الإمبراطور دوميتيانوس، كانت تستهدف القضاء على هذه القرصنة ، إلى جانب إلزامهم بعدم ترك مراكزهم تسهيلاً لمهمة جباة الضرائب [42].

ففي سنة 85 – 86 م ضاقت قبيلة النسامونيس ذرعاً من جباة الضرائب الذين أجبروهم على عدم ترك أماكن إقامتهم ، أي أنهم حالوا بينهم وبين الذهاب إلى أوجلة لجني ثمار البلح ، ونتيجة

---

[41] أتفق الطرفان على يوم معين يخرج فيه العداءان من قرطاجة وقورينا والمكان الذي يلتقون فيه سيكون الحد المحترم بين الطرفين ، واستطاع عداءي قرطاجة قطع مسافة أكبر عند التقائهما بعداءي قورينا ، وعلل البعض دلك نتيجة الكسل أو نتيجة الطبيعة الجغرافية للمنطقة وهي الأقرب إلى الحقيقة حيث السهول غرب قورينا عارية من الاشجار وعندما تهب = الرياح تسبب عواصف رملية تحجب الرؤية وتملأ عيون المسافرين وأفواههم ، مما يسبب عدم قدرة الإنسان على الاستمرار في الجري. وعندما التقى عداءي قورينا بالأخوين فيلايني اتهماهما بالخروج المبكر قبل الموعد المتفق عليه ، ورفضا التقيد بالاتفاق . عرض القرطاجيون على مندوبي قورينا إعادة الكرّة مرة أخرى ، الا أن مندوبي قورينا تقدموا باقتراح ينص على : أما أن يدفنا أحياء في هذا المكان ، أو يسمح لهم بالتقدم قدر ما يرغبان ويُدفنا أحياء هناك ، وهنا نلاحظ محاولة من الإغريق لضم خليج سرت إلى منطقتهم ،فضل الأخوين فيلايني أن يُدفنا أحياء في سبيل الوطن، وقد قدر القرطاجيون هذه التضحية وأقاموا لهما المذابح في ذلك المكان، واصبح قبريهما مزاراً سنوياً للقرطاجيين ، ورمزاً للتضحية في سبيل الوطن.)

[42] O.Bates.op.cit.p.105

للخطر الذي كانت تشكله هذه القبيلة من خليج سرت على المدن الرومانية ، توجهت حملة في فترة حكم الإمبراطور الرومانيدوميتيانوس لوضع حد لهجمات هذه القبيلة والقضاء عليها ،الا أن النسامونيس تمكنوا من الحاق هزيمة ساحقة بهذه الحملة ولكن الرومان عند فرارهم تركوا كميات من الخمور في معسكرهم ،وبدل أن يلاحق النسامونيين فلول الرومان الهاربين ، أقبلوا على شرب الخمر حتى ثملوا ،فعاود الرومان الكرّة وذبحوهمإلا قليلا منهم فروا إلى الصحراء.ويبدو أن وضع الخمر بالمعسكر كان خطة عسكرية لمعرفة الرومان بحب الليبيين لشرب الخمر، وأفتخر الإمبراطور دوميتيانوس أمام مجلس الشيوخ الروماني قائلاً: بأنه لن تقوم للنسامونيس قائمة بعد ذلك .[43]

إلا أن النسامونيس وهي القبيلة الكبيرة في خليج سرت لم تقضى عليها هذه الحملة ، واستمر ذكرها في أغلب المصادر الرومانية ، حيث قامت هذه القبيلة في عهد الإمبراطور سبتيموسسيفيروس (193 –211م) بالتحالف مع قبائل الجرمنت ، والإغارة على المدن الساحلية مما أضطر الإمبراطور سبتيموسسيفيروس أن يأتي بنفسه إلى مسقط رأسه لبدة وأحبط هجوم هذه القبائل ، كما عمل على إقامة سلسلة من الثغور العسكرية لمواجهة تهديد القبائل الليبية و الحيلولة دون توغلها نحو الشمال .كما كانت أجدابيا التي تتحكم في الطريق إلى أوجلة هي مفتاح منطقة الثغور حول خليج سرت . و توجد في المنطقة ما بين اجدابيا وبنغازي مجموعة من القلاع المحصنة ، يطلق عليها اسم القلاع الليبية الرومانيةكانت لها مهمة واحدة وهي صد أيتهديد او هجوم تقوم به القبائل الليبية بمنطقة خليج سرت . ومن المحتمل أن تكون قبائل المكاي بعد أن أصبحت موالية للرومان هي التي قامت بتشييد هذه القلاع تحت أشراف الرومان.

إلى جانب القبائل السابقة التي كانت تسكن منطقة خليج سرت الكبير في العصر الروماني ، ظهر اسم قبيلة هيلاجواسHilaguasأو ايلاسجواسIlasguas ولم تقدم لنا المصادر الرومانية

[43]D.E.L.Haynes,op.cit.p.82

معلومات عن هذه القبيلة سوى أن الإمبراطور ماكسيميان قام بحملة ضد هذه القبيلة في منطقة سرت .

وكذلك قبيلة الأوسترياني Austriani التي تشير بعض الآراء إلى أنهم كانوا يقيمون بمنطقة خليج سرت مثل قبيلة هيلاجواس ، وهذه القبيلة شنت ثلاث هجمات على المدن الساحلية في سنة 263م كان أعنفها الأخيرة ، مبررين ذلك بأنهم كانوا ينتقمون لمقتل أحد أفراد هذه القبيلة على يد الجنود الرومان بمنطقة لبدة ، وقد دمروا كل شيء في طريقهم من نخيل وكروم ، مستعملين الجمل لأول مرة وهو ما زاد من سرعة الهجوم والانسحاب إلا أن أسوار لبدة منعتهم من اقتحامها رغم حصارهم لها مدة ثمانية أيام.[44]

كما قامت هذه القبيلة بشن هجمات على منطقة برقة سنة 390م وكانت هذه القبيلة من خلال هجماتها تنهب المزارع وتحرق المحاصيل وتقتل الرجال وتسبي النساء وتسرق الأطفال .وبالهجوم على منطقة برقة يتضح لنا أن هذه القبيلة كانت تقيم فعلاً بمنطقة سرت ، حيث تتوسط المنطقة ما بين برقة ومدن الساحل الغربي، مما سهل لها مهمة شن هجمات باتجاه الغرب على مدن الساحل الغربي وكذلك هجمات باتجاه الشرق.

المطلب الخامس :النشاط الاقتصادي :

اولاً– الرعي والزراعة .

نتعرف على الحياة الاقتصادية عند الليبيين قبل قدوم الفينيقيين من خلال المصادر المصرية التي تبين لنا أن الليبيين قد ألفوا حياة الزراعة ، وأن أقدم إشارة وردت في نصوص الأسرة التاسعة عشرةَ ، في أنشودة النصر التي أشادت بالفرعون مرنبتاح (... واسفاه على ليبيا لقد أصبح أهلها لا يعيشون بحالتهم الطبيعية يمرحون في الحقول)،وأنه لم يعد هناك فوق أرض الليبو (أي حقل صالح ليكفي إعانة السكان)كما كانت أرض الليبو تنتج القمح ونتعرف على ذلك من خلال قول هذا الفرعون أنه:(نهب كل مؤن رئيس الليبو من القمح ...)

[44]D.E.L.Haynes,AnArchaeoglogical,guide to the pre-Islamic antiquity Tripolitania ,Tripoli.1959,P57.- O.Bates,op. cit.p237.

كما ذكرت لنا كذلك المصادر الفرعونية القديمة كثرة الماشية التي غنمها الفرعون في عهد الدولة القديمة ، (وفي كل غزوة كانت القبائل الليبية تأتي بعدد ضخم من الماشية والماعز إلى جانب البقر والثيران والخيل والحمير).[45]

أما الشاعر الإغريقي هوميروس يقول " تتميز ليبيا بتربية الأغنام التي تلد ثلاث مرات في السنة [46]بينما أرسطو يقول أنها تلد مرتين في العام.[47]

إلا أن هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاديقول أن ساحل ليبيا ما بين مصر وبحيرة تريتونس يسكنهقوم رحُل رعاة يعيشون على اللحم والحليب[48]، الا أن بعض الباحثين لا يوافقون هذا الرأي ومنهم أوريك بيتس الذي يعتقد أنه كان للقبائل الليبية أراضيها وحدودها المعروفة وأن هذه القبائل لم تكن رحل الا بصورة محدودة[49]، ومن خلال الحفريات الاثرية التي تمت في مناطق مختلفة من ليبيا عرفنا أن الليبيين عرفوا الزراعة وعاشوا حياة مستقرة قبل وصول الفينيقيين إلى سواحل شمال أفريقيا[50] كما كانت القبائل التي تسكن في جنوب الساحل حيث أودية بي الكبير وسوف الجين و زمزم وابونجيم توجد بها مجموعات مستقرة في الواحات حيثتشتغل بالزراعة وفي نفس الوقت تمارس مهنة الرعي .

فقبيلة النسامونيس،التي تقيمحولخليجسرت،كانأفرادها يتركونقطعانهم في مراكزهم الثابتة على خليج سرتفيالصيفويذهبونإلىأوجلةلجنيالتمور.[51]حيث تعتبر شجرة النخيل من أهم الاشجار التي لعبت دوراً كبيراً في الحياة الاقتصادية للقبائل الليبية وكانت تمثل مصدراً من مصادر الثروة إلى جانب دورها كغذاء.

---

[45] سليم حسن ،مصر الفرعونية ' ج7،القاهرة 1950,84 - 101

[46] .إبراهيم نصحي .إنشاء قورينا وشقيقاتها. منشورات الجامعة الليبية .كلية الآداب .ط1. 1970.ص24

[47] عبدالرحمن بدوي (ليبيا في مؤلفات أرسطو) مجلة كلية الآداب ، العدد الثالث، 1969، ص134

[48] Herodot ,IV.186

[49] O.Bates.op.cit.p.91

[50] شارل جوليان اندرية ، تاريخ أفريقيا الشمالية ،ترجمة محمد مزإلى ورفيقه، الدار التونسية للنشر ،تونس 1969،ص78

[51] Herodot ,IV.186.ترجمة علي فهمي خشيم ،مرجع سابق،ص43،

وعلى العكس من النسامونيس كان المكايكذلكيتنقلونبمواشيهمعلىالساحلفي فصل الشتاءحيث موسم الإمطار بعد ان يضعوا ماشيتهم في حظائر، أما في فصل الصيف ومع نقص المياه في السهل الساحلي الرملي ،فإنهم يذهبون إلى أودية سوف الجين وزمزم وبي الكبيرحيث كانوا يحتفظون بمياه الامطار في هذه الاودية عن طريق الصهاريج (شكل 4) والآبار أو إلى جبل غريان الخصيب ، ويذكر ديودورس الصقلي أن مجموعات منهم كانت تشتغل بالزراعة وأخرى بالرعي وثالثة بالنهب والسلب ،كما كانت المنطقة الواقعة جنوب خليج سرت والصحراء الليبية بصفة عامة أقل جدباً مما هي عليه الآن.[52]

ومن خلال حديث هيرودوت عن قبيلة البسولوي نلاحظ أنهم كانوا يمتهنون الرعي حيث ذكر أنه كانت لهم أبار دائمة وصهاريج. و بذلك نرى أن النشاط الرعوي هو العنصر الأساسي في اقتصاد سكان خليج سرت قبل قدوم الفينيقيين . وبذلك يمكن لنا القول بأن القبائل الليبية قبل وصول الفينيقيين كانت تمتهن نوعاً من الاقتصاد المتنوع زراعة ورعي و لا يمكن أن نطلق عليها كلمة رحل الا في حدود ضيقة .

أما الفينيقيون الذين يعتبرون من أبرع المزارعين القدماءورغم الطابع التجاري لهم في بداية استيطانهم بالمنطقة الا أنهم أهتموا بالزراعة في مستوطناتهم على الساحل الليبي، حيث أدخلوا للمنطقة أدوات زراعية معدنية وأساليب أحدث من الأساليب التقليدية التي كانت سائدة فيها . كما أدخلوا زراعة شجرة الزيتون [53] إلى المنطقة بأسلوب علمي وهي الشجرة الأنسب لمناخ البحر المتوسط على الشمال الأفريقي العرضة للرياح والجفاف ، وزراعة الأرض بأكثر من محصول واحد في السنة وزراعة النبات في المكان المناسب له ، كما أدخلوا أشجار فواكه أخرى مثل التين والرمان والخوخ واللوزمعتمدين في ذلك على كتاب الخبير الزراعي ماجو القرطاجي.[54]

[52] Herodot , II, 3214، ترجمة علي فهمي خشيم، مرجع سابق،ص

[53] يرجح البعض أن زراعة الزيتون قد ظهرت في كريت وصقلية وآسيا الصغرى، ومنها تسربت إلى سوريا وفلسطين ومصر ،الا أن لوحة تسيلي توضح وجود الزيتون في أفريقيا منذ العصور الحجرية حيث نشاهد على هذه اللوحة رؤوس رجال عليها أغصان زيتون ، والفينيقيون هم من أدخلوا زراعته وعملوا على تطويره .

[54] يعتبر أهم من كتب في مجال الزراعة في عصره حيث جعلها علماًقائماً، فاستحق لقب أبو الزراعة ، تحدث في كتابه عن زراعة الزيتون واللوز والخوخ ، وتسميد الأرض باستعمال بقايا العنب بعد عصره وخلطه بفضلات الحيوانات . ترجم الرومان الكتاب إلى لغتهم لأهميته لهم في تطوير الزراعة.

ولقد كان زيت الزيتون والفواكه والنبيذ هي المنتجات الرئيسية للمدن الفينيقية،كما لعبت الحبوب دوراً مهماً في النشاط الزراعي للسكان خاصة القمح ،حيث يأكلون حبوبه كما هي أو يدقونها ويخبزون معجونه بدفنه في النار [55] (شكل5)، وبذلك يمكن لنا القول أن سواحل أفريقيا الشمالية في العصر الفينيقي كانت حديقة غداء فسيحة . ونلاحظ تناقص حرفة الرعي في منطقة خليج سرت خلال العصر الفينيقي والسبب يرجع إلى اهتمامهم بالتجارة والزراعة ، حيث المردود المادي الجيد.

أما في العصر الرومانيلم تنعم المنطقة بالاستقرار الذي عاشته خلال العصر الفينيقي ، بعد أن ورث الرومان ممتلكات قرطاجة في المنطقة عقب سقوط قرطاجة في سنة 146 قبل الميلادولقد ركز الرومان على الانتاج الزراعي معتمدين في ذلك على كتاب ماجو القرطاجي الذي ترجم إلى اللغة الرومانية لأهميته ،وركزوا بصفة خاصة على تصدير زيت الزيتون الذي تزايد عليه الطلب لجودته واستعماله في أغراض التدليك في الحمامات والإضاءة ، ونفهم مدى توسع الرومان في غرس شجرة الزيتون في ليبيا من خلال الغرامة السنوية التي فرضها يوليوس قيصر على لبدة والبالغة عشرة ملايين لتر من الزيت ، وقدرت هذه الكمية بأنها كانت تعادل إنتاج مليون شجرة زيتون [56]، ولقد شجع الرومان المواطنين على التوسع في زراعة شجرة الزيتون حيث انتشرت مزارع الزيتون في سهول وأودية خليج سرت ،خاصة في عهد الأسرةالسويرية ونتيجة لغارات القبائل الليبية المستمرة على التجمعات الرومانية أهتم الرومان بالمزارع المحصنة ، وعملوا على إقامة سلسلة من الثغور العسكرية لمواجهة تهديد القبائل الليبية ، بداية من منطقة الزنتان إلى سبخة تاورغاء وتنتشر هذه الثغور في أودية سوف الجين وزمزم (شكل 6 و 7) حيث كانت توجد حياة زراعية مستقرة. ثم شيدت قلعة غدامس وفي عهد أبنه كاراكلا امتدت الطرق إلى مزدة التي كانت تتوسط منطقة ثغور عسكرية تمتد شرقاً وغرباً.

---

[55] عبداللطيف محمود البرغوثي. التاريخ الليبي القديم ، من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي .ص94 – 95 .وطريقة دفن عجين الحبوب في النار لأكله كغداء لا زالت موجودة في المنطقة حتى الآن وهو ما يعرف بخبزة المله أو خبزة الجمر .

[56] وول ديورانت .قصة الحضارة . ج2 .ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التإليف والترجمة والنشر،ط2 .القاهرة .1959. ص31

وجنوب هذه المنطقة تم أنشاء خط ثغور آخر يمتد من غدامس إلى القريات الغربية إلى ابونجيم ، ومن الملاحظ أن هذه المواقع تقع على خط عرض واحد.

كما كانت المنطقة الممتدة من النوفلية إلى مرسى البريقة محصنة ، و توجد قلعة كبيرة عند منطقة بن جواد ، كان الغرض من هذه القلاع والمزارع المحصنة هو الحيلولة دون توغل القبائل الليبية نحو الشمال . كما كانت اجدابيا التي تتحكم في الطريق إلى أوجله هي مفتاح منطقة الثغور حول خليج سرت .أسندت مهمة هذه المباني العسكرية التي عرفت في التاريخ بمصطلح Limes Tripolitanus إلى قائد الجيش أنسيوسفاستوس Anicius Fastus وحصن ابونجيم (شكل8) والقريات الغربية من أشهر وأعظم القلاع التي أنشئت في أفريقيا في العهد السويري، فهي تمتاز بمواقعها الاستراتيجية التي تسيطر على ثلاثة طرق رئيسية تعتبر من أهم طرق القوافل التي تصل الساحل الأفريقي بأواسط أفريقيا ، كما تمتاز بقربها من الواحات .

أما الرعي فقلت أهميته في العصر الروماني وأصبح مكملاً للزراعة ،ونتيجة لحاجتهم إلى الحبوب والزيتون ، زحفوا على أراضي المراعي التي كان يعتمد عليها عدد كبير من المواطنين في تربية مواشيهم . ومن أهم الحيوانات كانت الأغنام والماعز إلى جانب الأبقار والخيول التي لعبت دوراً هاماً في النشاط الزراعي في حرث الأرض في أودية المنطقة وخاصة في المراكز التجارية مثل جولايا (ابونجيم).[57]

أما الجمل فقد أستخدم بصورة أكبر في ماكوماديسوتوباكتس في أواخر القرن الثالث ميلادي.[58]

ثانياً التجارة :

لقد مارس الليبيون التجارة منذ القدم ويدعمنا في ذلك ما ذكره الشاعر هوميروس في قصيدته الاوديسا'' من أن رجلاً من مصر صادف تاجراً فينيقياً وذهبا معاً إلى ليبيا.[59]

[57] Rebufat.R."Dix An .Recher.Des-Trip" op. cit.p.87

[58] أحمد محمد أنديشة .التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث . الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان . مصراتة 1993 ص

[59] Homer ,Odyssea .XIV.225ff

ومن خلال الرسوم المنقوشة على الصخر في جبل عكاكوس جنوب فزان والتي تصور لنا قوافل يحرسها أصحابها، نتأكد بأن الليبيين منذ عصور ما قبل التاريخ كانوا يعملون في نقل التجارة وتبادل السلع مع غيرهم من الشعوب.[60]

وأن هناك علاقات بين أهالي الصحراء وسكان السواحل ، وأن وسيلة الاتصال بين الساحل والصحراء تتم بفضل استخدام الثيران في النقل الا أن الثيران لا تستطيع تحمل العطش لمدة طويلة فيتم الاستعانة بالحمير التي كان باستطاعتها السير لمسافات بدون ماء [61]،هذا الاحتكاك بين الصحراء والأرض المزروعة على الساحل يعني التجارة .والتجارة تعني معرفة جغرافية المنطقة وأقرب وأسهل الدروب التي يمكن أن تسلكها القوافل التجارية.

فمنذ القدم لاحظ الإنسان أن أنسب مكان لعبور الصحراء كان عن طريق الدروب التي تبدأ من الموانئ الليبية الواقعة على خليج سرت ، والتي تخترق فزان إلى أواسط أفريقيا ،وذلك لعدة أسباب منها قصر المسافة بين البلاد الواقعة في أواسط أفريقيا والموانئ الواقعة على خليج سرت ، لأن الرصيف البحري كان يدخل لأقصى مداه إلى داخل القارة من هذه الناحية .وكذلك أنتشار الواحات والآبار وقرب المسافة بينهما على طول الطريق إلى أواسط أفريقيا .

ومن هذه الطرق:

1 – سرت – الجفرة – جبال السوداء – سبها – جرما .

2 – أسبيس – جولاي – واحات الجفرة – سبها – جرما .

لقد كان للقبائل الليبية نشاط تجاري قبل قدوم الفينيقيين إلى المنطقة، حيث أورد هيرودوت في كتابه الليبي الرابع أن الليبيين على علاقة تجارية مع قرطاجة بقوله : (يوجد مكان في ليبيا يعيش فيه قوم خلف أعمدة هرقل ،يأتي إليه القرطاجيون ويفرغون بضائعهم بنظام ، ثم يرجعون إلى سفنهم ويوقدون ناراً وعندما يراها الأهالي يأتون ويضعون الذهب ثمناً للبضائع وينسحبون بعيداً ،ويهبط

[60] O.Bates.op.cit.p.104
[61] E.W.Bovill ,The Golden Trade of the Moors,London,1958.p.16ff

القرطاجيون من سفنهم وينظرون إلى الذهب ،فإذا ظهر لهم أنه ثمن عادللبضائعهم أخذوهومضوا، وإذا لم يكن كذلك عادوا إلى سفنهم ينتظرون حتى يعود الأهالي إلى البضاعة، ويزيدون الذهب حتى يرضى التجار، وفي هذه الطريقة لا يخدع أحداهما الآخر .[62]

وتعد قبيلة النسامونيس القاطنة بسواحل سرت ، من أكثر القبائل التي لعبت دوراً كبيراً في تجارة القوافل ، لما تميزت به من قدرة فائقة في اجتياز الصحراء ، والوصول إلى قلب القارة ، وذلك استناداً إلى ما ذكره هيرودوت عن شباب القبيلة الذين اخترقوا الصحراء في رحلة لمعاينة صحراء ليبيا ،ووصلوا إلى نهر النيجر كما ذكرنا سابقاً.[63]

أما في العصر الفينيقي .

فالفينيقيون الذين أسسوا لهم مراكز تجارية على سواحل الشمال الأفريقي لم يكلفوا نفسهم عناء السفر والمخاطرة في الصحراء إلى أواسط أفريقيا ، ليقوموا بأنفسهم بجلب ما فيها من سلع وخيرات ، بل أكتفوا بالانتظار في مراكزهم التجارية على الساحل حتى تأتي القوافل تحت حراسة القبائل الليبية، ونفهم من ذلك أن حركة تجارية رائجة كانت بين أهالي البلاد وبين التجار الفينيقيين الذين كانوا يمرون بسواحل ليبيا لغرض التبادل التجاري .[64]

وقد كانت تجارة الفينيقيين الذين استقروا على الساحل الليبي ولمدة طويلة تعتمد نظام المقايضة مع أهالي البلاد الذين كانوا يتعاملون معهم حتى أواخر القرن الخامس قبل الميلادباستعمال السبائك والنقود حسب العيار اللاتيني ، وفي القرن الرابع قبل الميلاد بدأوا بسك عملة خاصة بهم حسب العيار الفينيقي بدار المسكوكات بقرطاجة .

ولقد حالت قرطاجة بكل ما لديها من قوة وبمساعدة قبيلة المكاي من تسلل الإغريق إلى منطقة خليج سرت بالقضاء على مستعمرة داريوس عند وادي كينوبس ، حتى لا يسلكوا طريق الجرمنت إلى فزان وهي أقصر طريق إلى أواسط أفريقيا نتيجة دخول البحر في اليابسة في منطقة خليج

[62] Herodot ,IV.196 ، ترجمة علي فهمي خشيم ، مرجع سابق ، ص50.

[63] Herodot ,II.32 ، ترجمة علي فهمي خشيم مرجع سابق ،ص14.

[64] أحمد صفر .مدنية المغرب العربي في التاريخ ، الجزء الأول .تونس، 1956،ص138

سرت ، حيث كان التجار يحملون منها أهم السلع ومنها العاج وجلود الحيوانات ، وريش النعام وبعض الذهب والأخشاب الثمينة وأحجار الملح الممتازة .[65]

إلى جانب حجر العقيق الذي يطلق عليه الإغريق اسم الحجر القرطاجي. كما كانت القبائل الليبية تحصل مقابل ذلك على الفخار الأثيني وأباريق الخمر وقوارير العطور الفينيقية والأدوات الزجاجية من مصر، كما تحصلوا على أفضل أنواع الأقمشة والاسلحة البرونزية والأواني الفضية عن طريق الفينيقيين الذين احتكروا التجارة البحرية .

التجارة في العصر الروماني:

عندما أحتل الرومان البلاد بصورة فعلية لم يضيعوا وقتاً طويلاً في الاهتمام بالتجارة عصب الاقتصاد وتنشيطها وخصوصاً مع الجنوب ، الاّ أن التجارة مرتبطة دائماً بالاستقرار السياسي الذي يساهم في نموها و ازدهارها وهو ما كان سائداً في العصر الفينيقي الاّ أن الاستقرار السياسي لم يكن موجوداً في بداية الاستعمار الروماني للمنطقة مما أدى إلى ضعف التجارة نتيجة الحرب الأهلية بين قادة الرومان ، والحرب التي قادها الرومان ضد القبائل الليبية ،منها حملة بالبوس وحرب تكفريناس وحملة فاليريوسفستوس والتي من أهم نتائجها إعادة أمور التجارة إلى طبيعتها السابقة ، وإحلال السلام بين الجرمنت والرومان .

ولقد شهدت التجارة نمواً ونشاطاً في عهد الأسرة السويرية التي شجعت على استخدام الجملعلى طرق القوافل إلى بلاد الجرمنت ، ونشرت الأمن في مناطق التخوم ، وأمنت الطرق المتجهة جنوباً[66]،ولقد كان الجرمنت منذ القدم وخلال العصر الروماني هم وسطاء التجارة بين أواسط أفريقيا والمدن الساحلية ، وهذا نتيجة سيطرتهم على الواحات ودروب ونقاط الراحة في الجانب الشمالي من وسط الصحراء.[67]

---

[65] M.Rostovtzeff ,Social and Economic History of the Roman Empire,2nd ed.Oxford,1957,vol,I.p335

[66] Goodchild,R.G.Lib.Stud..Ed.Reynolds.op.cit.pp46-57

[67] Cary,M.Geographical.Back Ground of Greek &Roman History, Oxford.1949.21

والرومان بعد أن فشلوا في حملاتهم ضد الجرمنت تركوا التجارة الصحراوية في أيدي الجرمنت ، وهذا ما دفع الرومان إلى مهادنتهم وإقامة علاقات تعاون وصداقة بينهما ، وقد اقام بعض تجار المدن الساحلية في جرمة وشاركوا في النشاط التجاري ، وكان هدفهم الحصول على الأحجار الكريمة [68]،كما يرى بعض الباحثين ومنهم أوريك باتيسأن قبيلة النسامونيس [69] ،قد شاركوا الجرمنت تجارة القوافل خلال العصر الروماني ، حيث اكتشفت نقوش فينيقية في مبنى المشكاوات شرق المنطقة السكنية المحيطة بحصن جولايا(ابونجيم) والذي يمثل أحد المواقع التجارية الهامة في العصر الروماني ، كما أن منطقة ابونجيم كانت محطة تقليدية لتجار القوافل الليبيين .[70]

ومن الموانئ التي ساهمت في التجارة الرومانية على خليج سرت – ميناء كيفالاي (مصراتة) وميناء ماكوماكا (تاورغاء) وميناء أسبيس (بويرات لحسون)وميناء ماكوماديس (سرت)ومذابح الأخوين فيلايني (السدرة).[71]

أما طرق القوافل إلى الجنوب من منطقة خليج سرت والتي ازدادت أهمية في فترة متأخرة من ماكوماديس(ماكوماديس – ودان – هون – سوكنه – إلى سبها – ثم جرمة) ومن المرجح أن هذا الطريق يمر بحصن جولايا (ابونجيم)الذي يعتبر ملتقى لكثير من الطرق التجارية .[72]

وأنني أرجح وجود طريق أسبيس (بويرات لحسون)– جولايا (بونجيم)– الجفرة –عن طريق جبال السوداء إلى سبها – جرمة . لعدة أسباب منها .

1 – ميناء أسبيس حيث يدخل البحر إلى آخر نقطة له في اليابسة في خليج سرت.

2 –قصر المسافة ما بين أسبيسوجولايا وسهولة الطريق بينهما .

68Daniels.C.M.TheGaramantes of Southern Libya.Oleander. press.1970,p24

69Bovill.W.E.op.cit.p.22- O.Bates.op.cit.p.105

70Rebuffat.R."Graffiti En Libyque De Bu Njem" Libya Antiqua.vol.XI-XII-1974-1975,pp166ff

71Strabo.Geog.XVII.3.20

72 محمد سليمان أيوب . مختصر تاريخ فزان .المطبعة الليبية .ص72- ولمزيد من المعلومات عن حصن ابونجيم انظرRebuffat.R." Dix.An.Recher.Prr.Des.Trip "op.cit.p.86

3 – وجود مصادر للمياه على هذا الطريق وقرب المسافة بينهما حيث توجد أبار مياه قديمة وهي بئر البغلة وبئرالسبيعية بوادي بي الكبير (شكل 9).

4 – أن حصن جولايا كان محطة تقليدية مهمة لتجار القوافل الليبيين .

أما أهم السلع التجاريةفكانت القمح والشعير ويصدر إلى روما وكذلك النبيذ الذي كان يهرب عبر ميناء خراكاس إلى قورينا مقابل السلفيومالقوريني، والكبريت الذي كان يصدر من مرفأ الأخوين فيلايني إلى قورينا وزيت الزيتون وريش ودحي النعام والحيوانات المفترسة وكذلك تجارة العاج.

ثالثاً الصيد:

لقد كانت مهنة الصيد سابقة لمهنة الرعي والتجارة ، وقد كانت هناك أدلة على أمتهان الليبيين لهذه الحرفة منذ عصور ما قبل التاريخ [73]، واستمروا يمارسونها في العصور التاريخية ، فلقد ذكر هيرودوت أن الصحراء الليبية كانت تموج بعدد كبير من الحيوانات المتوحشة وكان من بين الحيوانات و الوحوش التي ذكرها هيرودوت الظباء، والغزلان، والجواميس، والحمير التي كانت لا تحتاج إلى الشرب، وبقر الوحش الإفريقي الذي كان الواحد منه يبلغ حجم الثور، والثعالب، والضباع، والأنياص، والكباش البرية، وبنات آوى، والنمور، وتماسيح البر التي كانت تشبه السحاليف يشكلها والنعام وأفاعٍي صغيرة للواحدة منها قرن صغير [74]. كما كانوا يستفيدون من لحوم وجلود هذه الحيوانات حيث يصنعون ملابسهم من جلودها .كما استخدموا ريش النعام كحلية وهذا الطير كان يتواجد بأعداد كبيرة في منطقة خليج سرت ،وكان السكان يقومون بالزخرفة على قشور دحي النعام. ولقد أنتقل سكان الساحل الليبي من حياة الصيد إلى مرحلة استئناس الحيوان وتربيته وفي مقدمة هذه الحيوانات الخراف والماعز والحمير والخيول .كما كان أفراد قبيلة النساmونيس يصطادون الجراد ويجففونه ثم ينثرونه على اللبن ويشربونه، إلى جانب صيد الأسماك وصيد النعام التي يتخذ أفراد قبيلة المكاي من جلودها دروعاً لهم .

[73] O.Bates.op.cit.p93ff

[74] Herodot.VI.192 ترجمة علي فهمي خشيم، مرجع سابق،ص47

أما في العصر الفينيقي الروماني :

لم يطرأ أي جديد على حرفة الصيد سوى أن رستوفزف يؤكد على أن أصحاب الضياع في المنطقة كانوا يمارسون صيد الأرانب البرية والأيل و الغرانيق إلى جانب الاستمرار في صيد الأسماك في سبخة ماكوماكاواوزوخيس.كذلك صيد الإسفنج الذي كان يشكل مردوداً لتوفير الصبغ الارجواني اللازم لصناعة الاقمشة الفينيقية ذائعة الصيت [75].

رابعاً الصناعة :

عثر في المنطقة الساحلية لخليج سرت على أماكن الصناعات في العصر الحجري ومن هذه المناطق موقع عند مذبح الأخوين فيلاينى (بالقرب من رأس لأنوف)عثر فيه على الآت حجرية قزمية ، وأدوات دقيقة وبعض بقايا قطع عظام وقواقع بحرية وبقايا بيض نعام ، وغرب هذا الموقع وعند سرت الحالية ثم العثور على نفس مخلفات المنطقة السابقة .

ومن خلال المخلفات التي تم العثور عليها في خليج سرت نلاحظ أن بيض النعام مزخرف بخطوط مما يرجح وجود مجتمع من جامعي الطعام على طول الساحل الجنوبي لخليج سرت ، كما تعود مخلفات الإنسان في هاتين المنطقتين إلى العصر الحجري الحديث ، كما أن رسم الخطوط على قشر بيض النعام يعتبر ظاهرة حضارية هامة ، يجعلنا نطلق اسم حضارة سرت على هذه المنطقة .[76]

كما يذكر لنا هيرودوت أن المكاي كانت دروعهم من جلود النعام [77]،مما يدل على وجود هذا الطائر بأعداد كبيرة في منطقة خليج سرت.[78]

أما في العصر الفينيقي:

[75] Rostovzeff.M.Soc.Econ.Hist.Rom.Emp.op.cit.p334.

[76] C.B.M.McBurney&R.W.Hey,Prehistory and Pleistocene Geology in Cyrenaican Libya.Cambridge,1955 p.223.

[77] Herodot.VI.175.36، ترجمة علي فهمي خشيم ، مرجع سابق

[78] لقد شاهدت بنفسي قشور بيض النعام بالمنطقة القريبة من حصن جولايا (ابونجيم) وقال لي كبار السن بالمنطقة أن هذا الطائر كان موجود في أربعينات القرن الماضي ،ويوجد مكان بالصحراء يعرف باسم (أمريقب النعام) ومكان آخر يعرف بالنعامات ، وهذا ذليل على أن هذا الطائر كان موجود بالمنطقة المحيطة بحصن جولايا.

لقد تم الكشف عن الأواني الفخارية والقدور والجرار الضخمة التي تستعمل في نقل السوائل من الزيت أو النبيذ.[79]

ومن أهم الصناعات في العصر الفينيقي كذلك تمليح وتخليل الأسماك في سبخة ماكوماكا (سبخة تاورغاء)، وكذلك أوزوخيس والتي نعتقد بأن موقعها بمنطقة الهيشة القديمة والتي اشتهرت هي كذلك إلى جانب صناعة تخليل السمك بصناعة الأرجوان.

ومن الصناعات الأخرى استخراج الزيت من حب الزيتون و تجفيف التمور والجلود والنبيذ الذي كان يهرب إلى قورينا من خاراكس.[80]

أما في العصر الروماني من أهم الصناعات كانت عصر الزيتون حيث عثر على العديد من المعاصر في المنطقة الساحلية وبعض الأودية التي انتشرت فيها زراعة شجرة الزيتون إلى جانب استمرار صناعة تخليل وتجفيف الأسماك في ماكوماكا و أوزوخيس[81]، وعرفت المنطقة صناعة الخمور التي تعتمد على العنب وأحياناًيحضر من ثمر النخيل[82]، كما أستغل المواطنون جلود الحيوانات في صناعة قرب الماء والحصر[83]،وكذلك صناعة الحبال من إلياف النخيل.

المطلب السادس :المواقع الأثرية على خليج سرت .

لم يترك لنا الفينيقيون أثاراً معمارية بارزة المعالم على خليج سرت ، وربما يرجع عدم اهتمامهم بالبناء إلى طبيعتهم التجارية واهتمامهم بالزراعة ،واكتفوا ببناء مباني بسيطة تفي بالغرض ، لأن ليس لديهم نية في الاستيطان الدائم بالمنطقة على العكس من الرومان الذين كانوا ينوون الاقامة في

[79] محمود النمس ومحمود أبو حامد ، دليل متحف الأثار بالسراي الحمراء و طرابلس ،ص14

[80] O .Bates.op.cit.p102

[81] Merigle.A.La Tripolitania.Antica,Airoldi,Editore.Verbenia,1940.pp37-39. - O.Bates.op.cit.p159

[82] الخمر الذي يحضر من ثمر النخيل ، نعتقد أنه يسحب من جمارة النخلة بطريقة فنية حتى لا تتأثر النخلة وتموت وهو ما يعرف في مناطق واحات النخيل كالجفرة مثلاً (باللاقبي) ،فإذا شُرب طازجاً فهو عصير لذيذ المذاق وأما إذا عُرض للشمس وأصبحت في طعمته حموضة يبدأ كالخمر.

[83] – صناعة قرب الماء كانت معروفة في منطقة خليج لسرت حتى فترة قريبة وهي تحتاج إلى مهارة في سلخ الشاة في جلدها بدون أي تمزق للجلد ومن تم توضع في إناء به ماء وقشور من جذور شجرة تنبت بالصحراء أسمها الجداري فترة زمنية تم تنظف جيداً وبعدها تصبح جاهزة للاستعمال ، وكذلك الشكوة التي تستعمل لاستخراج الزبدة من الحليب وتحويل الحليب إلى لبن ، و العُكة التي تستعمل في حفظ السمن بعد استخراجه من الزبدة إلى جانب المزود الذي يستعمل لحفظ الدقيق . أنظر كذلك Procopius.Bello.Vandal.II

المنطقة مدى الحياة ولذلك الغرض شيدوا المدن المتكاملة مثل لبتس ماجنا (لبدة)،و تفننوا في البناء وكانت لهم لمساتهم المميزة ،وفي منطقة سرت توجد أثار مدينة سكينا (سلطان) شكل (10) وأثار منطقة ابونجيم ،شكل (11) وأثار مدينة قرزة ، شكل (12) ، إلى جانب بعض الآثار الرومانية التي عثر عليها أثناء تنفيذ مشروع البنية التحتية لمدينة سرت من قبل الشركة الهندية ، ولكن وللأسف طُمر هذا الكنز الأثري تحت الأسفلت .

الخاتمة

أهم ما توصلت إليه من نتائج خلال هذه الدراسة:

1 – أن خليج سرت من الخلجان التاريخية في العالم وهو يتوسط المنطقة الجنوبية لحوض البحر المتوسط ، ويتمتع بموقع استراتيجي مهم جعل منه حلقة وصل ما بين الشرق والغرب والشمال والجنوب .

2 – أن العصر التاريخي لمنطقة الدراسة بدأ بقدوم الفينيقيين للمنطقة مع نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد ودورهم في تنمية موارد المنطقة الاقتصادية .

3 – الجذور المشرقية للسكان المحليين بمنطقة الدراسة وأنهم والفينيقيون ينتمون إلى جنس واحد وأصولهم واحدة وهم كنعانيون، ونتيجة ذلك سادت علاقات جيدة بينهم أدت الى نمو وازدهار تجارة القوافل مع أواسط أفريقيا والتي كانت تقوم بها القبائل الليبية .وبذلك أثروا وتأثروا بجيرانهم .

4 – أن الفينيقيين أول من اتبع أساليب علمية حديثة في الزراعة بمنطقة الدراسة وادخلوا الآت حديثة ومزروعات جديدة للمنطقة مثل شجرة الزيتون .

وفي ختام هذه الورقة البحثية نوصي بالآتي :

1 – نأمل من المسؤولين في المجلس المحلي سرت والحكومة الليبية الاهتمام بالمنطقة حيث بالإمكان أن تقوم المنطقة بنفس الدور الذي قامت به في العصر الفينيقي والروماني ، بتفعيل الميناء البحري والمطار في تجارة العبور الى افريقيا .

2 – الاهتمام بقطاع الرعي المهنة الرئيسية لسكان منطقة الدراسة والزراعة خاصة بعد وصول مياه النهر الى مزارع الاودية بمنطقة سرت .

3 – أن تقوم مصلحة الآثار بتشجيع الحفريات الأثرية في المنطقة، للكشف عن تاريخها الذي لا يزال أغلبه تحت الأرض .

4 – فتح مكتب لمصلحة الآثار بمدينة سرت ،وذلك للاهتمام بالمواقع الأثرية الموجودة بالمنطقة وحمايتها .

5 – فتح فرع للأثار بكلية الآداب – جامعة سرت لتخريج متخصصين في مجال الأثار.

نأمل أن نكون قد وفقنافي هذا البحث المتواضع وأن ينفع به كل من يطلع عليه.

المراجع :

1 – ابراهيم أحمد رزقانه ،الحضارات المصرية في فجر التاريخ ، القاهرة ، 1948

2 – إبراهيم نصحي .إنشاء قورينا وشقيقاتها. منشورات الجامعة الليبية .كلية الآداب .ط1. 1970.

3 – أحمد الهادي – الحياة السياسية للفينيقيين في شمال إفريقيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة قاريونس 1997– أحمد الهادي – الحياة السياسية للفينيقيين في شمال إفريقيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة قاريونس 1997

4 – أحمد المكناس – مدينة ليكسوس ، دار كريماس للطباعة ،تطوان ،.1961

5 – أحمد صفر .مدنية المغرب العربي في التاريخ ، الجزء الأول .تونس، .1956

6 – أحمد محمد أنديشة .التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث . الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان . مصراتة .1993

7 – الهادي بولقمة ، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة عام 1817

8 – الهادي بولقمة ومحمد الأعور، ،الجغرافيا البحرية ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس 1993.

9 – الجماهيرية دراسة في الجغرافيا. تحرير .الدكتور الهادي بولقمة والدكتور سعد القزيري. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة الأولى .1995

10– رجب عبدالحميد الأثرم. تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، الطبعة الثانية، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان .

11 – زهرة الشريف – تأسيس قرطاج وموجات استيطان الفينيقيين بتونس ،الحياة الثقافية ،العدد38 .تونس .1985

12 – سليم حسن ،مصر الفرعونية ' ج7،القاهرة .1950,84

13 – شارل جوليان اندرية ، تاريخ أفريقيا الشمإلىة ،ترجمة محمد مزإلى ورفيقه، الدار التونسية للنشر ،تونس 1969.

14- عبد الحفيظ فضيل الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، بنغازي.2001 .
15 - عبدالرحمن بدوي (ليبيا في مؤلفات أرسطو) مجلة كلية الآداب ، العدد الثالث، .1969
16 - عبدالعزيز طريح شرف ، جغرافية ليبيا ،الاسكندرية ،.1963
17 - عبدالعزيز عبدالفتاح عمر الحجازي- رسالة دكتوراه غير منشورة (البحرية القرطاجية) معهد البحوث والدراسات الأفريقية .جامعة القاهرة ، قسم التاريخ .1982
18 - عبداللطيف محمود البرغوثي. التاريخ الليبي القديم ، من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي
19 - عوض يوسف الحداد ،إقليم خليج سرت بين حتمية البئية وضرورة التنمية ، مجلة قاريونس العلمية ، ع1 ، 2، .1999
20 - علي فهمي خشيم ،نصوص ليبية ،.1967
21 - محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .1990
22 - محمد السيد غلاب . الساحل الفينيقي وظهيره ، دار العلم للملايين ، بيروت ،.1996
23 - محمد علي عيسى ،"الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم ،من خلال المكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية "، الجديد للعلوم الإنسانية ، العدد 3 ، .2000
24 - محمد سليمان أيوب . مختصر تاريخ فزان .المطبعة الليبية.
25 - محمد حسين فنطر – الحرف والصورة في عالم قرطاج ، إلبف ، تونس ، ,1990
26 - محمد مختار العرباوي ، البربر عرب قدامي ، المركز القومي للثقافة العربية ، الرباط، .1993
27 - مصطفى كمال عبد العظيم ، دراسات في التاريخ الليبي القديم ، الطبعة الأهلية ، بنغازي ، .1966
28 - مسعود رمضان شقلوف ،سرت تاريخها وأثارها، بنغازي مصلحة الأثار، الطبعة ،.1985
29 - فتحي أحمد الهرام ، التضاريس والجيومورفولوجيا ، في كتاب الجماهيرية ، تحرير الهادي بولقمة و سعد القزيري ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، سرت .1995
30 - خارطة الجماهيرية ، مالطا أنترناشيونال ، بيروت (د.ت)هينز ا'.ل،أثار طرابلس الغرب ، ترجمة عديلة حسن ميال ، طرابلس مصلحة الأثار طرابلس ،(د.ت).
31 - وول ديورانت .قصة الحضارة . ج2 .ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التإليف والترجمة والنشر،ط2 .القاهرة 1959.
32 - .Herodot.IV.197
33 - .Strabo,xvii.3-3.c826
34 - O.Betes,.The Eastern Libyans,Londen,1924
35 - Goodchild, R.G., Benghazi, The Story of a City, Department of Antiquities, Cyrene (Shahat), Cyrenaica, Libya, 2nd edition, Lamin Hasni s Press, 1962

36 - Goodchild **R.G**,The Roman and Byzantine Limes in Cyrenaica,JRS,vol,xLiii1953

37 - Hammond,N.G.L.(et) the oxford Classical Dictionary .nd.ed .clarendon press. Oxford.1969.

38 - D.E.L.Haynes,AnArchaeoglogical,guide to the pre-Islamic antiquity Tripolitania ,Tripoli.1959

39 - E.W.Bovill ,The Golden Trade of the Moors,London,1958

40 - M.Rostovtzeff ,Social and Economic History of the Roman Empire,2nd ed.Oxford,1957,vol,I

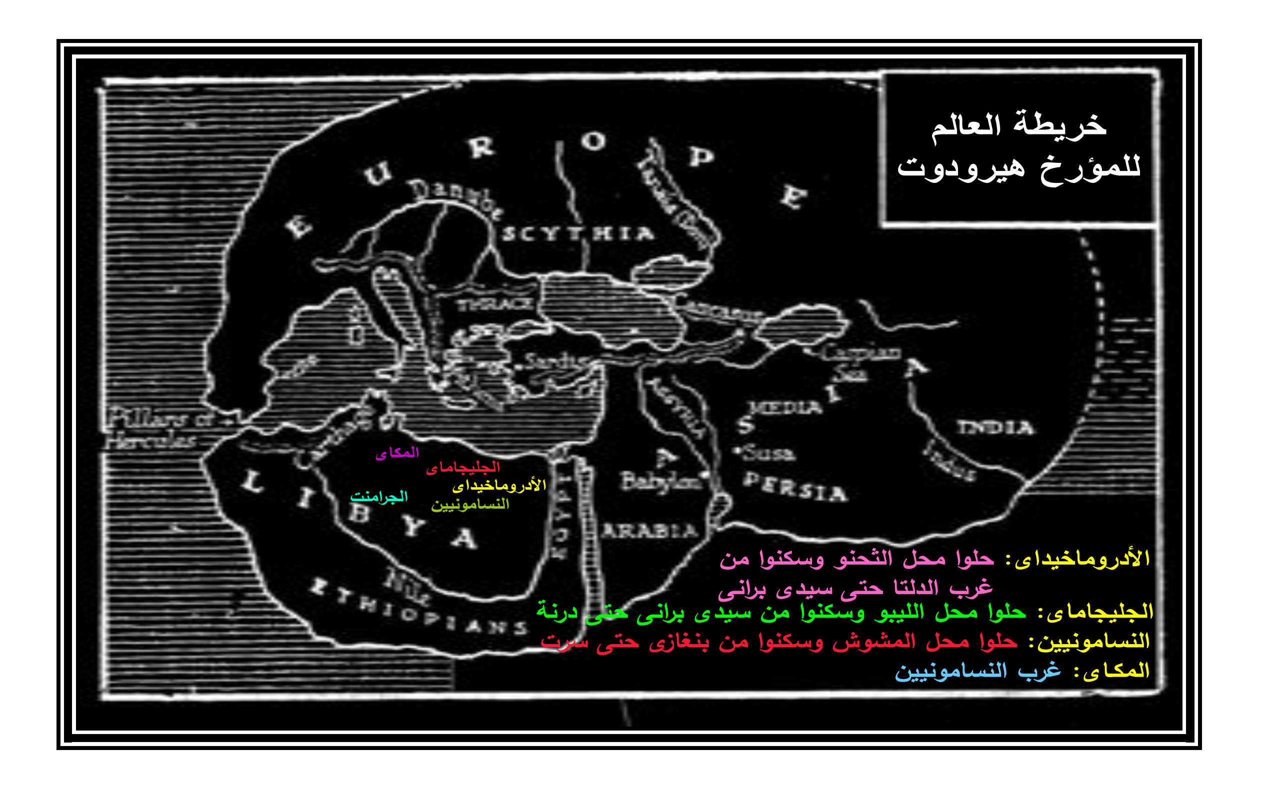
41 - Cary,M.Geographical.Back Ground of Greek &Roman History, Oxford.1949.

42 - Rebuffat.R."Graffiti En Libyque De Bu Njem" Libya Antiqua.vol.XI-XII-1974-1975

43- Rebuffat,R., Rechesdans le desert de Libya,1982 CRA I

44 - C.B.M.McBurney&R.W.Hey,Prehistory and Pleistocene Geology in Cyrenaican Libya.Cambridge,1955

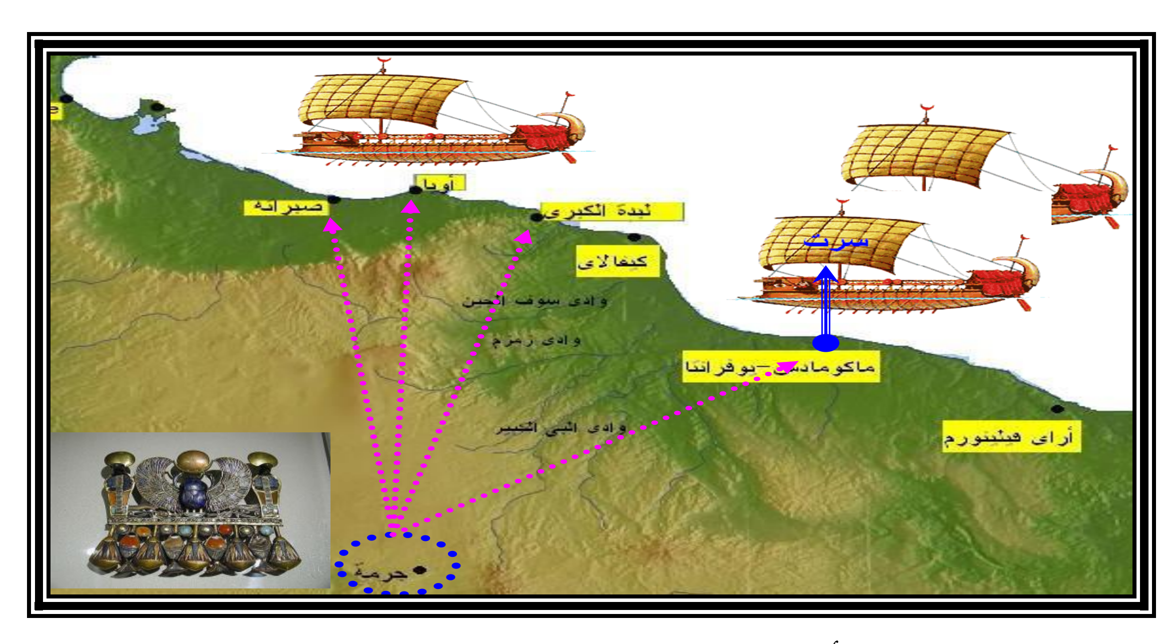
الملحق :



شكل (1) خريطة العالم للمؤرخ هيرودوت موضحاً عليها بعض القبائل الليبية القديمة.



شكل (2) ليبيا كما وصفها هيرودوت. من كتاب هيرودوت ترجمة الدكتور محمد الذويب



شكل (3) خريطة توضح أودية خليج سرت ، سوف الجين وزمزم ووادي بي الكبير وبعض طرق التجارة مع جرمة .



شكل (4) فسكية السّد أحدى صهاريج تجميع مياه الامطار بوادي زمزم في العصر الروماني– لا يزال يستخدم حالياً ويعتمد علية الرعاة في المنطقة. الباحث



تابع شكل (4) فسكية السّد – صهريج المياه من الداخل .الباحث



شكل (5) طريقة دفن عجين الحبوب في النار لأكله كغداء لا زالت موجودة في منطقة الدراسة حاإلياً وهو ما يعرف بخبزة الجمر . الباحث



شكل (6) نقطة مراقبة للمزارع المحصنة وتأمين للطرق التجارية بوادي قرزة في العصر الروماني – الباحث .



شكل (7) نقطة مراقبة ثانية للمزارع المحصنة وتأمين للطرق التجارية بوادي قرزة في العصر الروماني– الباحث



شكل (8)حصن جولايا–ابونجيم ملتقى تجار القوافل الليبيينفي العصر الروماني.الباحث



شكل (9) بئر السبيعية بوادي بي تقع في منتصف الطريق ما بين ميناء أسبيس (البويرات) وجولايا ابونجيم.. الباحث



شكل (10) أثار سلطان –سرت نيوز



شكل (11) أثار ابونجيم – الباحث



شكل (12) أثار قرزة – مدونة الأثار الليبية